لا اعتقاد عليه في هذا الباب وهذا معنى قوله الفقه معرفة النفس ما لها
وما عليها وقد اعرض الامام عن بحث الوجود اكتفاء بما هو كالمرئي في
مطلع الشهود ففي التنزيل قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات
والارض ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فوجود الحق
ثابت في فطرة الخلق كما يشير اليه قوله سبحانه فطرة الله التي فطر
الناس عليها ويومي اليه حديث كل مولود يولد على الفطرة وانما
جاء الانبياء عليهم السلام لبيان التوحيد وتبيان التفريد ولذا أطبقت
كلمتهم واجتمعت حجتهم على كلمة لا اله الا الله ولم يؤمروا بان يأمروا
اهل ملتهم بان يقولوا الله موجود بل قصدوا اظهار ان غيره ليس بمعبود
ردا لما توهموا وتخيلوا حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى على ان التوحيد يفيد الوجود مع مزيد التأكيد
ثم العقائد يجب ان تؤخذ من الشرع الذي هو الاصل وان كانت مما يستقل
فيه العقل والا فعلم اثبات الصانع وعلمه وقدرته لا يتوقفان من حيث ذاتها
على الكتاب والسنة ولانهما تتوقفان عليهما من حيث الاعتداد بها لان هذه
المباحث اذا لم يعتبر مطابقتها للكتاب والسنة كانت بمنزلة العلم الالهي
للفلاسفة فلا يعتد بها على ما ذكره المحققون من الايات الدالة على وجوده
وبيان قدرته وحكمته وظهور فضله وجوده قوله تعالى ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس
وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها
من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات
لقوم يعقلون فمن امعن نظره في عجائب هذه المذكورات من خلق الارضين
والسموات وبدائع فطرة الحيوانات والنباتات وسائر ما اشتملت عليه
الايات الافاقية والانفسية كقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من
طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا
العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه

خلقنا

خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين وقوله تعالى سنريهم آياتنا في
الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شيء
شهيد وفي كل شيء له شاهد يدل على انه واحد الجاء ذلك الى الحكم بان
هذه الامور العجيبة مع هذه الترتيب المحكمة الغريبة لا يستغني كل منها
عن صانع اوجدها من العدم وعن حكيم رتبها على قانون اودع فيه فنونا من
الحكم وقضايا هذا مما يجب كل العقلاء الا من لا عبرة بمكابرته كبعض الدهرية من
السفهاء وانما كفر بعضهم بالاشراك حيث ادعوا من دون الله آلهة كعبدة
الاصنام وسائر الوثنيين من الانام وبعضهم بنسبة بعض الحوادث الى
غيره تعالى كالمجوس ينسبون الشر الى الظلمة التي هي اهرمن وهو شيطان والخير الى
نور الرحمان وكبعض الوثنيين من العوام ينسبون بعض الاثار الى الاصنام
كما اخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا
بسوء وكالطبائعيين وبعض المنجمين حيث ينسبون بعض الاثار الى الكواكب
المراد بها من الانوار سبحانه وتعالى عما يشركون وبعضهم بانكار ما جعل الله سبحانه
انكاره كفرا كالبعث واحياء الموتى في دار القرار وهذا المقدار كاف لاولي
الابصار ولنرجع الى ما ضاع عن المقدمات العقلية التي رتبها النظار على
سبيل الاستظهار ومجمله ان العالم حادث بمعنى محدث وجد بعد العدم
وهو محتاج الى محدث موجود بصفة القدم وذلك المحدث موجد الموجود
هو الله سبحانه كما يشير اليه قوله تعالى الله خالق كل شيء وقوله ان ربكم
الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام فمن قال بقدم العالم فهو كافر
ثم لما ثبت انتهاء الموجودات الى واجب الوجود لذاته والعدم على
الواجب ممتنع لان ما ثبت قدمه استحال عدمه لزم كونه ازليا ابديا فهو
قديم لا اول لوجوده وباق لا اخر لشهوده فيه جمع معنى القدم والبقاء
في حقه تعالى الى الصفات السلبية وان عدهما بعضهم في النعوت الثبوتية
لان معنى البقاء في حقه سبحانه نفي عدم لاحق في الابد كما ان القدم عبارة
عن نفي عدم سابق في الازل فيرجع معناهما الى نفي العدم ولذا قال

Copyright © King Saud University